الفصل الثـــانى

نظا الأمومة و نظام الأبوة

MATRIARCHATE AND PATRIARCHATE

وجد علماء الاجتماع فى دراستهم الجماعات البدائية أن من العشائر من يحسب النسب عن طريق الأم ومنهم من يحسب النسب عن طريق الأب ، وقد قادهم ذلك الى التفكير فى العلاقة التاريخية بين هذين النظامين وطفقوا يتساءلون أكان نظام الأمومة أسبق من نظام الأبوة ؟ أنشأ أحدهما من الآخر ؟ أم صـدر كل منهما عن أصل قديم دون ترتيب أو تعقيب ؟

يرى مورجان morgan [1] ومدرسته أن التطور الاجتماعى قد سار على وتيرة واحدة لم تتغير . وأن العشيرة البدائية كانت دائما وبالضرورة عشيرة أمومية matrilineal أى أن الانتساب فيها كان دائما إلى الأم وذلك لأن الزواج بين شخصين اثنين لم يكن معروفا فى العصور القديمة و بذلك كانت الأبوة مشكوكا فيها ، ومن ثم كان الانتساب إلى الام ، وكان ما يوجد من مال وثروة ينتقل فى داخل عشيرة الأم و ينحدر من الأخ إلى الأخ أو من الخال إلى ابن الأخت ولكن لا يرثه ولد عن أبيه مطلقاً ، فلما كثرت الثروة نشأ نفور طبيعى من هذا النوع من الميراث الذى يحرم أولاد الرجل من ميراث أبيهم ، وزاد هذا النفور بتقدم الجماعة البدائية وزيادة اليقين فى ثبوت الابوة وأدى ذلك فى النهاية إلى زوال نظام الأمومة وقيام العصبية الأبوية (أى الانتساب إلى الأب) .

---

(١) L.H. Morgan, Ancient Society, Ch. 2 and 14,

تلك هى نظرية مورجان morgan التى فصلها فى كتابه Ancient Society «الجمعية القديمة» ، وقد اعترض لوى Lowie [١] على هذه النظرية وهو يقول انها مخالفة للشواهد الاثنولوجية غير أنه اعترف فى مكان آخر بصحة النتائج التى وصل اليها مورجان على الرغم من ضعف الشواهد التى ساقها .

أما تيلر Tylor [٢] فقد فرض أن نظام الأبوة قد مر بأدوار ثلاثة تشبه الطبقات الجيولوجية وهى على الترتيب دور الأمومة ثم دور الأمومة والأبوة معا ثم دور الأبوة فقط فى الدور الأول يكون الانتساب إلى الام وهى صاحبة النفوذ والسلطان والخال هو رئيس الأسرة وهو ولى أمر الأطفال ويكون الميراث عن طريق الام أيضاً فالثروة تنحدر إلى الأخ من جهة الأم أو إلى ابن الأخت .

أما فى دور الأبوة فيكون الانتساب إلى الاب وهو صاحب السلطان على الزوجة والاطفال وتنحدر الثروة منه إلى ذريته . وفيما بين هاتين المرحلتين نجد المرحلة الوسطى وهى مرحلة الانتقال وفيها نجد النظامين معا .

والرأى الذى عليه جمهور العلماء هو أن نظام الامومة يوجد فى مرحلة منحطة من الحضارة ، ويرى هوبهوس Hobhouse [٣] أن الانتساب إلى الأم يكون عادة بين الجماعات غير المتحضرة وأن الانتساب إلى الاب هو الشائع بين المتحضرين من بنى البشر ، ولكنه يرفض الرأى القائل بعمومية دور الأمومة . وكذلك فعل

---

(١) Lowie, Primitive Society, p. 160.

(٢) E.B. Tylor, On a Method of Investigating the Development of Institutions ; Applied Laws of Marriage and Descent, J.A.I. XVIII, 245.

(٣) L.T.H. Hobhouse, Morals in Evolution, p. 162.

لوى Lowie [١] فهو يرى أن التناسق بين بعض الظواهر الاقتصاديةوالاجتماعية يتفق مع الرأى القائل بأن الانتساب الى الأم لايمثل مرحلة عامةفى تاريخ البشر إذ يجب ألا نغفل قط عن التقسيم الجنسى فى العمل ، فالانتساب إلى الأم قد ينشأ فى جمعية شبه زراعيه لاتحتاج فيها الفلاحة من المرأة إلا استعمال أداة بسيطة كالفأس مثلا . أما حيث تكون الزراعة ناشطة تتطلب قوة و بأساً وشدة مراس ثم نجد الرجل هو الذى يقوم بالجزء الأعظم من هذا العمل مهما كانت الأدوات بدائية ، ومن الجائز عقلا أن تنمو عشيرة الأبوة فى مثل هذه الظروف ، ولكن ذلك ليس ضروريا ، ففى بعض الجماعات شبه الزراعيه قد نجد الرجال — لاالنساء — هم الذين يقومون بالزراعة دون وجود أثر لنظام الامومة عندهم كما هو حادث فى بعض أجزاء أمريكا وميلانيزيا .

و بين بعض القبائل الزراعية كهنود Pueblo نجد نظام الامومه شائعاً مع أن الرجال هم الذين يقومون بالأعمال الزراعية التى تتطلب شدة و بأسا لكن ذلك لسبب آخر وهو أن المرأة هى التى تملك الأرض ، وليس معنى ذلك أن المرأة تحت هذا النظام هى الحاكمة أو صاحبة النفوذ والسلطان ، كلا بل إن أكبر إخوتها هو الذى يصبح رأس الأسرة وصاحب السلطان على أولادها وهو المحور الذى تدور عليه الحياة الاقتصادية والاجتماعيةفى الجمعية الامومية [٢] أما الزوج فلا يعتبر رأس الاسرة التى فيها أولاده بل رأس أسرة أخته إن كان

---

(١) Lowie, Primitive Society, p. 173.

(٢) Bronislaw Malinowski, Sex and Repression in Savage Society, 1927, p. 9 ff., The Sexuel Life of Savages in North-Western Melanesia, 1929, P.20.

هو أكبر الاخوة ، ومن ثم ترى أن نظام الأمومة هو فى الحقيقة نوع من نظام الخؤوله Avuncate .

أما فى العصور القديمة فالمعروف أن الزراعة فى الحضارات المتقدمة كان قوامها حرث الأرض وترويض الثور وغيره من الحيوانات التى تستخدم فى فلح الأرض . وهذا عمل كان يقوم به الرجال يقينا . والمعروف كذلك أن نظام الابوة كان نظاماً متفشياً على العموم بين القبائل البدوية العريقة فى البداوة وأن المرأة كانت تحتل مكاناً وضيعا فيها لضراوة الحياة البدوية وخطرها واعتمادها على الرجال

ومن المسلم به أيضاً أن الزراعة قد ظهرت فى فترة متأخرة عن فترة غرس الاشجار وما يضارع ذلك من عمل شبيه بالزراعة ، وعلى هذا فلو فرضنا أن مرحلة الزراعة قد تطورت من مرحلة غرس الاشجار ونشأت عنها لسلمنا بتعاقب المرحلتين تعاقباً ثابتا ولقلنا بوجود تعاقب مماثل فى نظامى الأمومة والأبوة تبعاً لنظرية مورجن Morgan وتيلر Tylor ولكن هذا الفرض ليس ضروريا إذ لا يوجد دليل على أن الزراعة بأشكالها المختلفة وأساليبها المتنوعة قد نشأت عن غرس الاشجار ، بل المحتمل أن تكون الزراعة التى ازدهرت فى غرب آسيا قد نشأت نشأة مستقلة وأن الشعوب التى كانت تمارسها فى العصور التاريخية لم تمر قط بدور الامومة وليس معنى هذا أننا ننكر وجود شىء من نظام الامومة عند بعض هذه الشعوب وخاصة السامية ، فربما كان ذلك قد حدث فى حالات خاصة أو لظروف معينة . ولكن الذى ينكره علماء الاجتماع المحدثون هو الجزم بتعاقب النظاميين إذ لا دليل على وجود مثل هذا التعاقب أو أن كل الشعوب القديمة لابد أن

مرت بمرحلة الأمومة قبل مرحلة الأبوة كما يؤكد ماك لنان[١] وروبرتسن سميث

نعم ان حياة الساميين كانت حياة بداوة وقيام على الانعام ولاتزال اللغات السامية ملأى بالتعابير الدالة على عيشة الخيام والتنقل وعدم الاستقرار وصفحات الأدب الجاهلى والتوراة ملأى بهذه العبارات .

وقد ظل السامى فى العصور التاريخية يعتبر نظام الابوة هو النظام الاجتماعى العادى لجميع البشر حتى أنه كان يظن أن كل شعب متحدر من أب واحد ينتسب اليه فكان الاشوريون فى نظره متحدرين من رجل يدعى آشور والكنعانيون من رجل يدعى كنعان والمؤابيون ينتسبون إلى رجل يدعى مؤاب والاسرائيليون الى اسرائيل وهكذا . وكان يعتقد أن القبائل تنتسب الى أبناء الرجل الذى تحدر منه الشعب وأن العشائر تنتسب إلى أبناء أبنائه وهكذ[٢]

وعلى الرغم من أن نظام الابوة هو الذى كان متفشياً بين الساميين منذ العصور التاريخية فثم من الشواهد ما يدل على أنهم عرفوا نظام الانتساب الى الام Matrilineal descent وأنهم مارسوا ذلك فى مرحلة متقدمة من المراحل الاجتماعية . ويمكن تلخيص هذه الشواهد فيما يلى :

أولا — إن كلة « الرحم » هى أكثر الكلمات ذيوعا للدلالة على القربى عند الساميين فالرحم أصل القرابة والنسب وقد وردت بهذا المعنى القديم فى المعاجم العربية والعبرية وهى تدل على أن الفكرة البدائية عند الساميين انهم كانوا يحسبون أنسابهم عن طريق الرحم وكانوا يعبرون عن القطيعه بقولهم «أرحام تشقق»[٣] وقد ورد نفس التعبير فى سفر عاموس «شحت رحمو »

---

(١) Mc Lennan, Patriarchal Theory.

(٢) انظر A. Lods, Israel, P. 199

(٣) أنظر شرح ديوان الحماسة للتبريزى ص ٢٣٧ طبعة اوربا

« أى شق رحمه »[١] بمعنى عق ذوى قرباه . ومن ثم ترى العلاقة واضحة بين كلمتى الرحم والرحمة إذ يبدو أن الاخيرة كانت فى الاصل تدل على صلة الام بولدها وحنوها عليه ثم امتدت إلى صلة ذوى القربى وعطف بعضهم على بعض ثم استعملت بعد ذلك فى الشفقة على الاطلاق .

ثانياً — إن أشهر عبارة وردت فى التوراة للدلالة على القربى والنسب هى العبارة الآتية «عظم من عظمى ولحم من لحمى » وقد فسرت التوراة كلمة «لحم» بالعشيرة[٢] وهذا يدل على أن الساميين كانوا فى وقت ما يعتبرون أولئك الذين يولدون من رحم واحد ويرضعون من ثدى واحدة أقرب إلى نفس اللحمة والعشيرة من غيرهم .

وكذلك كانت الحال فى جزيرة العرب ، فقد ذكر الهمدانى[٣] أن كلمة اللحوم (جمع لحم) كانت تطلق فى بعض أجزاء الجزيرة على البطون .

وقد لاحظ نولدكه أن كلمة « بطن » تضارع كلمة فخذ فى العشائر التى تنتسب إلى الأب ، وأنها وَرَدت فى النقوش التدمرية بمعنى العشيرة .

ومهما يكن من أمر فيبدو أن استعمال كلمة بطن للدلالة على العشيرة ، هو استعمال قديم جدا ، وقد ورد بهذا المعنى فى سفر أيوب. ثم نقرأ[٤] (بنى بطنى) بمعنى أبناء عشيرتى . ثم يجب أن لا يعزب عن بالنا أن حرمة الرضاعة كانت

---

(١) انظر سفر عاموس الاصحاح الأول آيه ١١
(٢) سفر اللاويين اصحاح ٢٥ آية ٤٩
(٣) صفة جزيرة العرب للهمدانى ص١٦٥
(٤) سفر أيوب اصحاح ١٩ آية ١٧

كحرمة الدم تماما عند الساميين وكل هـذا يدل على أن النسب كان يحسب فى الأصل عن طريق الأم .

ثالثا — ظل الساميون قرونا طويلة يحتفظون بحق المرأة فى تسمية أبنائها وانتسابهم اليها (١) فلما كان القرن الثامن قبل الميلاد شرعنا نجد أول حالة تدل يقيناً على انتساب الولد إلى أبيه (٢) وقد كان لتسمية الولد والحاق نسبه بالعشيرة شأن كبير وأهمية عظمى فى الجمعيات البدائية ذلك لأن الشخص كان ينتمى إلى العشيرة التى لها حق تسميته وكانت هذه التسمية تشمل غالبـا نعتا أو اسما من أسماء اله العشيرة الذى يوضع الشخص تحت حمايته

ويبدو أن حق العشيرة فى تسمية أبناء بناتها وانتسابهم إليها ظل موجوداً فى جزيرة العرب إلى قبيل ظهور الاسلام . فقد حدث أن خطب عمرو بن حجر إلى عوف بن محلم الشيبانى ابنته أم أياس فقال نعم أزوجكها على أن أسمى بنيها وأزوج بناتها . فقال عمرو بن حجر أما بنونا فنسميهم باسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا وأما بناتنا فننكحهن أكفاءهن من الملوك(٣)

فما كان عوف بن محلم ليطلب تسمية أبناء ابنته وانتسابهم إليها إن لم يكن فى ذلك صدى لنظام قديم من الأمومة كان شائعاً فى عشيرته . أما عمرو بن حجر فقد رفض ذلك لأن نظام الأبوة هو الذى كان سائداً فى عشيرته بدليـل قوله « أما بنونا فنسميهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا » ولم يقل وخؤولتنا ، ولو قال وخؤولتنا لعلمنا أن الانتساب إلى الأم كان فى وقت ما شائعاً كذلك فى عشيرته

---

(١) A. Lods, La Croyance a la Vie Future et la Culte des Morts dans l' Antiquite Israelite, 2 vols. Paris, 1906; also Israel p. 192.

(٢) انظر سفر هوشع الاصحاح الاول الايات ٤ ، ٦ ، ٩ .

(٣) العقد الفريد ج ٣ ص ٢٧٢

لأن نظام الأمومة هو بالمعنى الدقيق نوع من نظام الخؤولة avuncate (١)

ومن ثم نستطيع أن نقول إن بعض آثار نظام الأمومة ظل موجوداً فى جزيرة العرب بجانب نظام الأبوة الى قبيل ظهور الاسلام .

رابعاً — ويرى روبرتسن سمث أن عادة العقيقة ليست عادة بدائية قديمة . والعقيقة هى فى الأصل الشاة التى كانت تذبح عند حلق شعر المولود قربانا لاله العشيرة وهو يرى أن هذه العادة لابد أن تكون قد نشأت فى مرحلة الانتقال من نظام الأمومة إلى نظام الأبوة وأن الغرض منها كان توكيد الجانب الأبوى فى النسب (٢)

خامساً — حدثت حالات فى العصور التاريخية وجدنا فيها الولد عندما يكبر يعود إلى قبيلة أمه فينتمى إليها وينتسب لها كما فعل زهير بن أبى سلمى . ويبدو أن علماء الانساب كانوا على علم بمثل هذه الحالات .

سادساً — خلف لنا علماء الانساب من الشواهد مايدل على أن العرب كانوا ينسبون قطعا إلى الأم فى مرحلة من مراحل تاريخهم القديم فهم يحدثوننا أن العرب كانوا يطلقون على ولد إلياس بن مضر بن نزار وهم مدركة وطابخة وقَمَعة ـ اسم خندف نسبة إلى أمهم خندف . وكان ينتسب إلى خندف كذلك أبطن عدة كمزينة والرباب وضبة وصوفة والشعيرا وتميم وهذيل وغيرهم . بل ان الزوج نفسه كان يتسمى باسم امرأته ومن ثم كان يقال لإلياس خندف إذ كان أبا لمن أمه خندف (٣)

---

(١) Bornislaw Malinowsky, Sex ond Repression in Savage Society, 1927, p. 9 ff.; also Boaz, F., General Anthropology 1938. p. 419.

(٢) Smith, Kinship, p. 155

(٣) نهاية الأرب للنويرى جزء ٢ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

ولذلك نظائر وأشباه فى العرب فكان يقال لمالك بن خزيمة بن مدركة « عائدة » أى أنه كان يدعى باسم أم ولده عائدة بنت الحُمْس بن قحافة . وكذلك «مزينة» بنت كلب فقد أطلقت اسمها على ولد عمرو بن أُدّ بن طابخه .

وكان الحارث بن عدى بن الحارث بن مرة يدعى «عاملة» . أى باسم عاملة بنت مالك أم ولده . وغير هذا كثير مما يطول الكلام باستقصائه .

ويقول بعض علماء الانساب كان لمعد بن عدنان امرأة جرهمية اسمها قضاعة فلما جاءت بولدها سمته باسمها[1]

وقد أفرد مؤرخو العرب عددا من الرسائل لمن نسب إلى أمة من الشعراء وقد ورد ذكر هذه الرسائل مبعثرا فى كتب الأدب . فمن ذلك رسالة لأبى عبيدة ورد ذكرها فى كتاب الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى وأخرى للميدانى ورد ذكرها فى الفهرست لابن النديم . وألف أبو سعيد السكرى رسالة سماها كتاب الشعراء المعرفين بأمهاتهم وكتب محمد بن حبيب صاحب كتاب المحبر رسالة عنوانها ذكر من نسب إلى أمه من الشعراء ، وقد نشر هذه الرسالة وعلق عليها الأستاذ ليفى دلافيدا L. Della Vida فى العدد الثانى والستين من مجلة الجمعية الإسيوية الأمريكية (سبتمبر ١٩٤٢) .

وليس معنى هذا أن جميع من ذكر من هؤلاء الشعراء كانوا ينتمون إلى قبائل تتبع نظام الأمومة فى انتسابها ، فنحن نعلم أن العرب فى العصور المتأخرة كانوا ينسبون الرجال إلى أمهاتهم لأسباب عديدة أخرى . ومع هذا ففى رأيى أن وجود هذا النظام بين العرب ومعرفتهم له ورضاهم عنه إنما كان بقية من نظام

---

(١) نهاية الأرب للنويرى ص ٢٦٨

الأمومة القديم الذى هجر بعد قيام العصبية الأبوية وبقيت بعض آثاره شاهدة عليه .

أما كيف كان الرجل ينتسب إلى امرأته ويدعى باسمها واسم عشيرتها فتلك مسألة تتعلق بمسكن المرأة فى الزواج القديم . ثم أربع حالات ممكنة :

(١) قد تعيش المرأة مع زوجها فى عشيرته مادام الزواج قائما فاذا طلقت عادت إلى أهلها واحتفظ هو بالأولاد .

(٢) أن تعيش مع زوجها فى عشيرته فاذا طلقت عادت إلى أهلها وحملت معها أولادها .

(٣) أن تعيش فى عشيرتها ويذهب الرجل ليعيش معها فاذا طلقت عاد هو إلى عشيرته وبقى الأولاد معها .

(٤) أن تعيش فى عشيرتها ويعيش الرجل فى عشيرته على أن يزورها متى شاء فإذا طلقت احتفظت هى بالأولاد .

ففى الحالة الأولى كان الأولاد ينتمون إلى عشيرة الأب ومن ثم نجد نظام الأبوة هو القاعدة . أما فى الحالات الثلاث الأخرى فكانوا ينتمون إلى عشيرة الأم ومن يكون الانتساب إلى الأمومة . وقد كانت الحالة الأولى هى الشائعة فى جزيرة العرب عند ظهور الاسلام . ومن هذا نرى أن الرجل لا يستطيع أن ينتسب إلى امرأته ويتسمى باسمها إلا فى الحالة الثالثة فقط أى فى حال ما إذا هجر عشيرته وراح يعيش مع زوجته فى عشيرتها وينتسب اليها كما ينتسب الأولاد . وهذا ولا ريب ما كان حادثا فى جزيرة العرب فى وقت من الأوقات إذ بدون ذلك لا نستطيع تفسير هذه الظاهرة الغريبة فى أنساب العرب . وقد كانت عادة استقرار

الزوج فى عشيرة الزوجة موجودة كذلك عند العبرانيين كما يتضح من النقطة التالية .

سابعا — عاش يعقوب مع زوجتيه [١] « ليئة » و « رحيل » فى عشيرة صهره « لابان » فلما فر يعقوب بنسائه وأخذ معه بنية خفية أسرع « لابان » إلى اللحاق به يطلب الأولاد قائلا « البناث بناتى والبنون بنى » [٢] أى أن « لابان » كان يعتقد أن الأولاد ينتون إلى عشيرة الأم وينتسبون إليها وأن لاحق للأب فى حملهم معه لأن النسب كان وقتئذ عن طريق الأم لاعن طريق الأب. وهذا النوع من الزواج هو الذى دعاه ربرتسن سمث باسم زواج الصديقة أو زواج البينة وقد كان موجودا عند العرب والأشوريين [٣] .

ثامنا — عندما حمل يوسف معه ابنيه من زوجته المصرية إلى عشيرة اسرائيل أبى اسرائيل أن يعتبرهم أعضاء فى عشيرته إلا بعد أن تبناهم يوسف من جديد [٤] وذلك يدل أيضا على أن عشيرة إسرائيل كانت تعتبر الأولاد منتسبين إلى أمهم فى ذلك الوقت .

تاسعا — ذيوع الزواج بالأخت من الأب عند الساميين فى مرحلة من مراحل حياتهم . فقد تزوج ابراهيم سارة أخته من أبيه . وكان يمكن أن يصبح عمنون بن داود زوجاً شرعيا لأخته من أبيه « تمر » بنت داود [٥] ومعنى هذا

---

(١) سفر التكوين اصحاح ٢٩ إلى ٣١ .

(٢) سفر التكوين اصحاح ٣١ آية ٤٣ .

(٣) قارن Scheil, Recueil de Lois Assyriennes, Sec. 2d, 33, 37

(٤) سفر التكوين اصحاح ٤٨ .

(٥) سفر صموئيل الثانى اصحاح ١٣ آية ١٣ .

أن ذلك النوع من الزواج كان لا يزال موجوداً عند العبرانيين إلى القرن العاشر قبل الميلاد بل إلى مابعد ذلك . فقد ظل يمارس فى يهوده الى زمن حزقيال (١) وقد حاول هذا النبي جهده أن يبطله و يصرف عنه قومه من بنى اسرائيل .وظل يمارس كذلك إلى العهد الفارسى فى بلاد الفينيقيين فقد تزوج « طبنة » ملك صيدا أخته بنت أبيه (٢) .

وكل هذه الحالات تدلنا على أن قدماء الاسرائيليين والفينيقيين كانوا يحسبون انسابهم عن طريق الأمهات . وقد عكف يوليوس ولهوزن على دراسة التوراة وتبين له أن احتساب النسب عن طريق الأم هو الشائع فى جداول الانساب الموجودة فى ذلك الجزء الذى حرره اتباع المدرسة اليهوية التى يرمز اليها بحرف « J » وأن احتساب النسب عن طريق الأب هو الشائع فى القسم الذى حرره اتباع المدرسة الكهنوتية التى يرمز اليها بحرف « P » (٣) وإذا علمنا أن كانت هناك قيود شديدة وحدود موضوعة على الزواج بذوى القربى والأرحام بين الشعوب السامية تبين لنا أن ترخيص الساميين لهذا النوع من الزواج انما يدل على أنهم كانوا فى وقت ما يعدون صلة الأبوة أو هى من صلة الرحم وأقل شأنا وأنها أوهن من أن تفرض نهيا أو تحريما .

عاشرا — ورد فى النقوش الآرامية التى اكتشفت فى الحجر أسماء عدد من العشائر تنتسب إلى الأم لا الى الأب (٤) .

---

(١) سفر حزقيال اصحاح ٢٢ آية ١١ .

(٢) قارن CIS, pt, I, N 3, 11, 13-18.

(٣) Wellhausen, Nachrichten d. Kgl. d. Wiss. zu Gott, 1897, p. 478 n2,

(٤) Cf. CIS Pt. II Vol. I Nos. 198 and 209; also Smith 313- 316

حادى عشر — وفى بابلونيا وجد بعض العلماء أن كان الرجل إذا شاء أن يخلع نسبه الى عشيرته و ينتسب إلى عشيرة زوجته [١] وقد كانت هذه العادة موجودة كذلك عند العبرانيين وهى تفسر لنا العبارة الآتية التى وردت فى سفر التكوين « يهجر الرجل أباه وأمه و يلحق بزوجته » [٢] .

ثانى عشر — لاحظ نولدكه أن الكتب الدينية عند المنديين Mandaeans تشير إلى الرجل بأنه فلان بن فلانه و يستخلص نولدكه من هذا أن نظام الانتساب إلى الأم كان معروفا عندهم [٣] .

ثالث عشر — كان الخباء عند الساميين ملكا للمرأة و إذا عرفنا أن الخباء عند أهل المدر هو بمثابة البيت عند الحضر كان معنى ذلك أن حقوق الملكية كانت قديما مقصورة على المرأة وأن الرجل هو الذى كان «يدخل عليها» ولا نزال نجد صدى هذا فى حفلة العرس المعروفة « بالدخلة » . فاذا جاء ووجدها قد حولت باب الخباء عرف أنها قد أعرضت عنه وطلقته . ونحن نجد فى كل هذا بقية من بقايا نظام الأمومة عند قدماء الساميين .

رابع عشر — فى التعاويذ السحرية اليهودية نجد اسم الرجل يقرن دائما باسم أمه لا باسم أبيه [٤] ، ولا تزال هذه العادة متبعة إلى اليوم عند اليهود وهى كذلك منتشرة فى البلاد العربية . ويقول نولدكه إن هذه العادة وما يشبهها

---

(١) Barton, A Sketch of Semitic Origins, p. 53

(٢) سفر التكوين اصحاح ١١ آية ٢٤

(٣) انظر Monatsschrift, p. 304; also Barton, op. cit. p. 53.

(٤) Lods, Israel, p. 193

تدل على مرحلة قديمة من نظام الأمومة .

ومما قدمنا يتبين لك جليا أن الساميين لابد أن مروا بنظام الأمومة فى مرحلة قديمة من مراحل حياتهم الأولى . وربما كان ذلك فى بدء حياتهم شبه الزراعية عندما كانت الجماعة البدائية تؤلف عادة من النساء وضعاف الرجال أما الأشداء والفتيان فكانت تستهويهم المغامرات والأخطار

وقد أورد ربرتسن سمث بعض الشواهد التى ذكرناها آنفاً ولكنه أوردها فى سياق التدليل على وجود زواج المشاركة عند الساميين وأن الانتساب إلى الأم كان نتيجة هذا الزواج . وقد أقمنا الدليل على فساد هذا الرأى وأنه « مجرد حدس وتخمين »

وقد أظهرت البحوث الحديثة أن لا صلة مطلقاً بين زواج المشاركة وبين نظام الأمومة . فقد عكف الأستاذ مالينوسكى Malinowsky [1] على دراسة عادات الزواج بين القبائل التى تمارس نظام الأمومة فى غينيا الجديدة . ووجد أن نوع الزواج الشائع عندهم هو الزواج بواحدة . ويوجد فى استراليا وميلانيزيا عدد كبير من القبائل ينتسبون إلى الأم دون وجود أثر لزواج المشاركة عندهم

ومن ثم ترى أن نظام الأمومة هو نظام قائم بذاته مستقل عن زواج المشاركة وأن لا علاقة بين النظامين بالكلية . وأن وجود أحدهما لا يستلزم وجود الآخر مطلقاً كما يزعم ربرتسن سمث .

وقد حاول جورجى زيدان أن ينفى وجود نظام الأمومة عند العرب وذلك

---

(١) Malinowsky, B., Sex and Repression in savage Society, 1927, also, The Sexual Life of Savages, 1929.

فى أثناء رده على ربرتسن سمث . وراح يدلل على ذلك بالأمثلة التى ساقها Redhouse[1] فى رده على ولكن wilken وخرج من كل ذلك إلى القول بأن تسلط الأمومة « غير معقول ولا يوافق قواعد العمران وأن من يطالع تاريخ الزواج من أول أحوال العمران إلى الآن لايرى فيه الا ما ينقض ذلك »[2]

وعندى أن جورجى زيدان لم يكن موفقاً فى جدله وأنه لم يتبع الطرق العلمية الصحيحة وأنه كان قليل البصر بعلم الاجتماع . فنظام الامومة كما ذكرنا آنفاً لايزال موجوداً عند الشعوب البدائية إلى الآن . وهو نظام معترف به عند علماء الاجتماع ولا علاقة له بنوع خاص من الزواج . وقد قدمنا أن نظام الابوة كان الشائع عند العرب والساميين منذ العصور التاريخية ومع هذا فقد ظل العرب والساميون قرونا طويلة يحتفظون بحق المرأة فى تسمية أبنائها وانتسابهم إليها . فلما كان القرن الثامن قبل الميلاد وجدنا أول حالة تدل يقينا على انتساب الولد إلى أبيه .

والذى صح لدينا بعد ماقدمنا من شواهد أن العرب وسائر الساميين قد عرفوا نظام الأمومة ومارسوه فى مرحلة قديمة من مراحل حياتهم الاجتماعية الاولى وربما كان ذلك فى بدء حياتهم شبه الزراعية . فلما ارتقت حضاراتهم ارتقوا هم كذلك إلى نظام الأبوة إذ أنه كلما ارتقت الحضارة كلما توكد الجانب الأبوى

---

(١) Redhonse, Notes on Prof. E.B. Tylor's Arabian Matriarchate, 1884.

(٢) انساب العرب القدماء لجورجى زيدان ص ٢٧

فى النسب . وإن تعجب فعجب أن نظام الأمومة لايزال يمارس بين بدو مصر إلى الوقت الحاضر ولاتزال العادة عند قبائل العبابدة والبشارية أن يذهب الرجل عقب زواجه فيعيش بين عشيرة زوجته و يبقى هناك إلى أن يولد ولده الأول على الأقل . (١)

أما الثروة فتنحدر من الخال إلى أبناء الأخت أو بناتها . و يؤخذ مما ذكره المقريزى أن نظام الأمومة هو الذى كان سائدا بين قبائل البيجا . (٢)

والآن وقد فرغنا من الاسرة وما يمت إليها من نظم الزواج وجب علينا أن نولى وجهنا شطر العشيرة ونظمها .

---

(١) Murray, G. W., Sons of Ishmael, 1935,p.53 ff.

(٢) انظر الخطط ج أول ص ١٩٤